

KUZEY SURIYE’DE ÇAĞDAŞ İSLAM AKIMLARI¹

Öğr. Gör. Belal KHALİFA²

ÖZET

Arap ülkelerindeki İslami hareketler, geçen yıllar boyunca büyük zorluklarla karşılařtı. Birçoęu davet ve fikirsel faaliyetlerine yönelik katı kısıtlamalarla yüzleřirken, bazıları da řiddetli baskılarla karşı karşıya kaldı. Baskılar sonucunda, bu hareketlerin faaliyetleri ve düşüncelerinin etkisi zayıfladı. Ancak, Arap Baharı devrimleri başladığında, İslami hareketlerin kısıtlamalardan kurtulmasında önemli bir rol oynadı ve yeniden faaliyete geçmeleri için uygun bir ortam oluşturdu. Bunun neticesinde, Arap Baharı devrimlerinin, Arap ülkelerindeki İslami hareketlerin seyrinde önemli bir dönüm noktası oluşturduęunu söyleyebiliriz.

Suriye’de onlarca yıldır birçok İslami hareket yayılmış durumda ve çeřitli fikirler ve akımlar aktif olarak faaliyet göstermektedir. Bu hareketler, halk arasında geniş bir kabul görmüřtür. Bu hareketlerin fikirleri çeřitlidir ve faaliyetleri farklıdır. Ancak, 1980’li yıllarda ülke, eři benzeri görülmemiř siyasi olaylarla karşılařtığında bu durum, İslami hareketlerin faaliyetlerinin kısıtlanmasına ve bazılarına karşı mücadele edilmesine neden oldu. 2011 yılında Arap Baharı devrimlerinin Suriye’ye ulaşmasıyla birlikte, bu hareketler üzerindeki güvenlik baskısı ortadan kalktı ve hareketlerin yeniden canlanması saęlandı.

2016 yılından sonra, Suriye’nin kuzeyindeki bazı bölgeler, aşırı ve ayrılıkçı örgütlere yönelik çeřitli askeri operasyonlara sahne oldu ve bu bölgeler, Suriye halkı için güvenli bir sığınak haline geldi. Bu bölgeler, İslami hareketlerin ve akımların çeřitlilięi ile öne çıktı. Arařtırmacı, bu bölgelerdeki durumu gözlemledikten sonra İslami hareketler hakkında kapsamlı bir anlayıř geliřtirdi. Bu anlayıřa dayanarak, arařtırma, Suriye’nin kuzey şehirlerindeki İslami hareketlerin çeřitlilięini incelemeyi ve tanıtmayı amaçlayacaktır.

Anahtar Kelimeler: İslami Hareketler, Devrimler, Arap Baharı, Kuzey Suriye.

¹ Bu makale 25-27 Mayıs 2024 tarihlerinde İsviçre-Bern’de düzenlenen ASEAD 13. Uluslararası Sosyal Bilimler Sempozyumun’da sunulan bildirinin genişletilmiş halidir.

² Gaziantep Ün., Afrin Eęitim Fak. ORCID ID: 0000-0002-0068-4372, bkhalifa@gantep.edu.tr

Arařtırma Makalesi/Research Article, Geliř Tarihi/Received: 07/06/2024–Kabul Tarihi/Accepted: 20/07/2024

الحركات الإسلامية المعاصرة في الشمال السوري

الملخص

شهدت الحركات الإسلامية في البلاد العربية تحديات كبيرة على مر السنين الماضية، حيث واجه الكثير منها قيوداً صارمة على نشاطها الدعوي والفكري، وتعرض البعض منها لقمع شديد، نتج عنه أفول لنشاط الحركة وفكرها، إلى أن بدأت ثورات الربيع العربي التي أدت دوراً بارزاً في تحرير الحركات الإسلامية من قيودها، وهيات لها بيئة مناسبة لانطلاق نشاطها من جديد. لذا يمكننا القول إن ثورات الربيع العربي شكلت نقطة تحول مهمة في مسار الحركات الإسلامية في البلاد العربية.

فمنذ عشرات السنين وتنتشر في سوريا حركات إسلامية عديدة، وينشط فيها الكثير من الأفكار والتيارات، التي لاقت قبولاً واسعاً بين أبناء شعبها، علماً أن هذه الحركات متنوعة الأفكار ومختلفة النشاطات. وفي ثمانينيات القرن الماضي واجهت البلاد أحداثاً سياسية غير مسبوقة، نتج عنها الحد من نشاط الحركات الإسلامية، بل محاربة للبعض منها، إلى أن وصلت ثورات الربيع العربي إلى سوريا عام 2011 م، حيث تحررت الحركات الإسلامية من القبضة الأمنية المفروضة عليها، وأعدت إلى الحركات نشاطها من جديد.

وبعد عام 2016 م، شهدت بعض المناطق الشمالية من سوريا عدة عمليات عسكرية استهدفت التنظيمات المتطرفة والانفصالية، وأصبحت تلك المناطق ملجأً آمناً لأبناء الشعب السوري، وامتازت بتنوع الحركات والتيارات الإسلامية فيها. وبعد معاصرة الباحث للواقع في هذه المناطق، تشكلت لديه صورة شاملة عن الحركات الإسلامية. واستناداً إلى هذه الصورة سيهدف البحث إلى دراسة ظاهرة تعدد الحركات الإسلامية، والتعريف بها في مدن الشمال السوري.

الكلمات المفتاحية: الحركات الإسلامية – ثورات - الربيع العربي – الشمال السوري.

مقدمة

تعود جذور أغلب الحركات الإسلامية في سوريا إلى بداية الاحتلال الفرنسي، إذ بدأ حينها ظهور دعوات فكرية متعددة لتجديد الخطاب الديني في سوريا، ومحاربة الفكر الغربي الذي هدف إلى ضرب القيم الدينية والأخلاقية في المجتمع السوري، فوجد العلماء وأصحاب الفكر حاجة ماسة للتصدي للحملة الفرنسية التي استهدفت معتقدات ومبادئ الشعب السوري.

وبعض الحركات كانت نتيجة تأثير بعض العلماء بحركات إسلامية في خارج سوريا، ومثال ذلك تيار الإخوان المسلمين الذي أسسه مصطفى السباعي بعد تأثره بحسن البنا عندما كان يدرس في مصر، بينما ظهرت بعض الحركات العلمية من صلب فكر علماء سوريا في ذلك الوقت، ومثال ذلك المدارس العلمية التي أسسها كبار مشايخ دمشق ك الشيخ عبد الكريم الرفاعي، والشيخ أحمد كفتارو، والشيخ صالح الفرفور، والشيخ علي الدقر.

ولعبت تلك الحركات دوراً كبيراً في صون المبادئ الإسلامية للشعب السوري، والقيام بحركات علمية ودعوية لم تشهد لها البلاد مثيلاً في السابق، وخاصة بعد خروج المستعمر الفرنسي من سوريا والبدء بتشكيل حكومات محلية.

إن دراسة ظاهرة انتشار الحركات الإسلامية المعاصرة في الشمال السوري تتطلب التعريف بالحركات الإسلامية المتواجدة في سوريا منذ أوائل القرن الماضي وحتى يومنا الحاضر، مع التركيز على عام 2011م، الذي يعتبر نقطة تحول في مسار كل الحركات الإسلامية في سوريا، وذلك بعد انطلاق الانتفاضة الشعبية في ذلك الوقت، إذ وجدت الحركات فرصة لإحياء مشروعها وفكرها من جديد، تزامناً مع بداية تحريرها من السلطة الأمنية والسياسية.

كما شهدت بداية الاحتجاجات الشعبية السورية منذ انطلاقها في شهر آذار 2011م، حضوراً لافتاً للمظاهر الإسلامية، سواء في بُعدها الرمزي أو المادي، وتجلى ذلك بتعاظم وتيرة الخطاب الروحي وبروز دور المساجد وأئمتها وحضور فئة علماء الدين، وأصبحت مساهمة الإسلاميين في العمل السياسي المعارض والتشكيلات المختلفة المرتبطة به أمراً واقعاً.³

أولاً: الحركات الإسلامية المعاصرة في الشمال السوري

أطلقت تركيا في 24 آب 2016م أول عملية عسكرية استهدفت التنظيمات الإرهابية في مختلف مناطق الشمال السوري على الشريط الحدودي من تركيا، تلاها عدة عمليات عسكرية أخرى، وتم من خلالها السيطرة على مدن عدة، منها تل أبيض ورأس العين وجرابلس، بالإضافة إلى الباب وأعزاز وعفرين.

وجمعت تلك المناطق مختلف أبناء الشعب السوري، ومع انتقال الناس إليها بدأت ثقافات وعادات وأفكار المجتمعات المهاجرة بالانتشار في تلك المناطق، ولعل أبرز ما نلاحظه في هذه المناطق هو ظهور الحركات الإسلامية والفكرية، سواء الحديث منها أو القديم، فلم تجمع تلك المناطق الأفراد فحسب، بل جمعت الأفكار والحركات أيضاً.

ولقد تنوعت مناهج الحركات والمدارس العلمية في بداية ظهور الانتفاضة الشعبية السورية عام 2011م، فمنها ما حمل الفكر الإسلامي السياسي عبر ممارسة العمل السياسي وتأسيسه وفقاً لمبادئ الشريعة الإسلامية كتيار الإخوان المسلمين، ومنها ما حمل الفكر الدعوي والعلمي كالمدارس العلمية التي أسسها الشيخ الرفاعي والشيخ كفتارو وغيره.

وفيما يلي سنعرض أهم الحركات الإسلامية التي ظهرت في سوريا، حيث سنذكر نبذة تعريفية بتلك الحركات، مع الوقوف على واقعها المعاصر الذي هو صلب بحثنا، وهي:

1. الإخوان المسلمون

يعود الدور الأكبر لتأسيس جماعة الإخوان المسلمين في سوريا لمصطفى السباعي عام 1945م، وذلك نتيجة تأثره بحسن البنا الذي تعرّف عليه أثناء دراسته الجامعية في مصر، إذ أعجب السباعي بفكر البنا، وعمل على طرح هذا الفكر في مختلف المدن السورية، واستمر تشكل تنظيم الإخوان المسلمون ما يقارب ثلاث سنوات عبر تشكيل فرق طلابية ومنظمات شبابية، وبعد ذلك تم دمج جميع الفرق والمنظمات وأجريت انتخابات لتعيين المراقب العام للتنظيم في سوريا، ليتم بعدها انتخاب مصطفى السباعي مراقباً عاماً لتنظيم الإخوان المسلمين في سوريا.⁴

بعد ذلك سعى التنظيم إلى المشاركة في العمل السياسي في ذلك الوقت، إذ شارك بالانتخابات البرلمانية عام 1947م، وحصلوا على ثلاثة مقاعد في مجلس النواب، وتوسع نشاطهم في مختلف المؤسسات الحكومية، بالإضافة لتشكيلهم جمعيات وهيئات مدنية وإنسانية.

ويرتكز التنظيم على مبدأ نظام الإسلام الذي يتضمن الأسس التالية:

1. الإسلام كنظام شامل متكامل بنفسه، هو السبيل النهائي للحياة بكافة نواحيها.

2. الإسلام يركز على مصدرين أساسيين هما القرآن الكريم والسنة النبوية.

3. الإسلام قابل للتطبيق في كل زمان ومكان.

³ أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة في سوريا، 31.

⁴ يوهانس رايسنر، الحركات الإسلامية في سوريا، ترجمة محمد ابراهيم الأتاسي، (بيروت: رياض الريس للكتاب والنشر، 2005م) 133.

توقفت حركة الإخوان المسلمين في سوريا عن العمل في ثمانينيات القرن الماضي، حيث تعرض أغلب قادتها للاعتقال، فيما استطاع البعض الخروج من سوريا والهجرة لبلاد مختلفة، وبقي فكر هذه الحركة حاضراً في الأذهان دون أي مشروع وهدف في المدى القريب، إلا أن الانتفاضة الشعبية عام 2011م أتاحت الفرصة من جديد لتجديد فكر الحركة والعمل على نشر مشروعها.

لم يصدر أي بيان لحركة الإخوان المسلمين في مطلع عام 2011م حتى نهاية شهر نيسان، حيث أصدرت فيه أول بيان دعمت فيه الثورة الشعبية، كما دعت فيه إلى إسقاط النظام الحاكم، ثم أصدرت وثيقة "عهد وميثاق" في آذار عام 2012م، دعت فيه إلى بناء دولة مدنية حديثة.

بدأت الحركة لاحقاً بالمشاركة الفعالة في الأجسام السياسية المعارضة التي تشكلت في بدايات الانتفاضة الشعبية، كالمجلس الوطني السوري، والائتلاف الوطني المعارض، والمجلس الإسلامي السوري، وغيرها، وذلك بسبب تاريخها التنظيمي وعلاقتها الدولية، ووجودها المتشعب ضمن كيانات المعارضة السورية ومنظماتها المختلفة.⁵

وأسهمت الحركة بالعمل الدعوي والديني في مختلف المناطق السورية التي خرجت عن سيطرة النظام الحاكم، كما تبنت عدة مشاريع دعوية وسانددت مختلف المؤسسات والجمعيات الخيرية العاملة في تلك المناطق، بالإضافة لنشاطها السياسي في خارج سوريا، خاصة مع الدول الفاعلة في ملف القضية السورية.

ثم أصدرت الحركة بياناً في عام 2019م دعت فيه تركيا للسيطرة على شمال سوريا، واعتبر البيان أن لتركيا الحق في الإشراف على المنطقة،⁶ وبعد سيطرة تركيا على مختلف المناطق من الشمال السوري، بدأت الحركة باهتمام بالغ للمنطقة، إذ أسهمت في إنشاء عدة مؤسسات تربوية وتعليمية، بالإضافة للمشاريع الخدمية التي قدمتها وما زالت تقدمها للمنطقة.

2. المدارس العلمية

للمدارس العلمية الدور الأكبر في تحديد هوية المجتمع السوري، التي تأسست من فكر وبنية كبار علماء البلاد في ذلك الوقت، وتشكلت المدارس العلمية بعد جهد كبير بذله العلماء في نشاطهم الدعوي والديني، وكانت المساجد المركز الأول لتأسيس تلك المدارس، إذ جمعت عدداً كبيراً من طلبة العلم والعلماء، بالإضافة للتأثير بعوام الناس ومختلف طبقات المجتمع.

كما لعبت المدارس العلمية دوراً كبيراً في توجيه الخطاب الديني للشعب السوري، وصون الحياة الدينية للمجتمع السوري من الغلو والتطرف، وما زالت تحتل مكانة اجتماعية في الوسط السوري، ومن أبرز المدارس والمعاهد العلمية التي شكلت حركة إسلامية في تجديد الخطاب الديني للمجتمع، وتبني العمل الدعوي والنشاط الديني في الشمال السوري:

أ. مدرسة زيد

عُرفت مدرسة زيد بالمدرسة الشامية، وهي من أهم المدارس العلمية السورية عموماً، والشامية خصوصاً، وتأسست على يد الشيخ عبد الكريم الرفاعي، وذلك بعد تحصيله العلمي الكبير على يد ثلة من علماء دمشق آنذاك، ومن أشهرهم الشيخ علي الدقر، والشيخ بدر الدين الحسني، إلى أن بدأ نشاطه الدعوي في جامع زيد بن ثابت عام 1918م، الذي أسس فيه فكره ومركز نشاطه ودعوته.

عمل الشيخ عبد الكريم على استقطاب عدد كبير من طلبة العلم والعلماء ومختلف فئات المجتمع، وذلك بعد تأسيسه لعدد من الجمعيات الخيرية كجمعية البر والإحسان، وجمعية النهضة الإسلامية، وجمعية إغاثة الفقير.

واهتم الشيخ عبد الكريم بالعمل المسجدي، بالإضافة إلى الجمع بين العلوم الشرعية والكونية، وتوجيه الطلاب إلى الاجتهاد والدراسة في مختلف الأفرع الجامعية.

⁵ رعداء زيدان، الجمعيات الإسلامية ودورها الاجتماعي والسياسي من بداية القرن العشرين وحتى ثورة 2011، 2022.

⁶ ألان حسن، بيان الإخوان المسلمين حول فكرة المنطقة الآمنة في الشمال السوري، 2019.

ولقيت هذه الجماعة اهتماماً بالغاً من وجهاء مدينة دمشق وتجارها ومختلف شخصياتها، حيث بدأت الجماعة بتوسيع عملها في مختلف المساجد والجوامع، بالإضافة إلى الأعمال الإنسانية التي خدمت مختلف أبناء المجتمع السوري.

وقد أسس الشيخ عبد الكريم فكره ونشاطه بناءً على أسس ثلاثة، وهي: العلم والعمل والدعوة، انطلاقاً من المسجد الذي جعله مكاناً للعبادة والعلم والتعلم والدعوة، وبذلك استطاع جذب عدد كبير من الطلبة في مختلف المراحل الدراسية والجامعية، بالإضافة إلى التأثير بالأطباء والتجار ومختلف أصحاب المهن الذين جددوا صلتهم بالمساجد وحلقات العلم والعلماء.

وبعد الانتفاضة الشعبية في سوريا عام 2011م، أصبح للمدارس العلمية دوراً مهماً في التوجيه الشعبي عبر المواقف المتخذة من قِبل المدارس تجاه انتفاضة الشعب، وكان لمدرسة زيد الدور الأكبر في تبني الانتفاضة الشعبية، حيث عمد كبير الجماعة للشيخ أسامة الرفاعي في خطبه ولقاءاته إلى الدفاع عن الشعب، كما دعا النظام الحاكم إلى الاستجابة لمطالب الشعب والبدء بإصلاحات عامة للمؤسسات الحكومية.

ومع زيادة وتيرة الأحداث في سوريا اضطر الشيخ أسامة الرفاعي للخروج من البلاد، فتوجه إلى مصر ثم إلى تركيا، وبعد عام 2017م تم تهجير معظم مناطق ريف دمشق إلى مناطق الشمال السوري، حيث بدأت الجماعة بلم شباتها وإعادة ترتيب عملها، وذلك بتنسيق وتخطيط وتوجيه من الشيخ أسامة الرفاعي.

ويبرز اليوم ظهور كبير للمدرسة العلمية الدمشقية زيد في مناطق الشمال السوري، بعد أن أعادت الجماعة ترتيب أوقافها، والبدء بالنشاطات العلمية والدعوية التي تأسست عليها سابقاً، كما حظيت الجماعة بقاعدة شعبية في مختلف المناطق، ويعود سبب ذلك إلى المكانة الاجتماعية التي يتمتع بها علماء الجماعة العاملين في الميدان، بالإضافة إلى عمل الجماعة المنظم والمنسق مع المؤسسات والسلطة الدينية في مناطق الشمال السوري.

من أبرز مؤسسات جماعة زيد والفعالة في مناطق الشمال السوري اليوم مؤسسة زيد بن ثابت الأهلية، التي نشأت في عام 2013م في مدينة إسطنبول، فقد حملت الاسم نفسه الذي اشتهرت به الجماعة في سوريا سابقاً، وبدأت في عام 2018م بعمل كبير في المجال الدعوي والتربوي والإغاثي في مختلف مناطق الشمال السوري، كما اهتمت بالعمل المسجدي الذي عرفت فيه في سوريا عند انطلاقتها، وينشط عملها المسجدي بغطاء رسمي من مديريات الأوقاف والشؤون الدينية في تلك المناطق.

ب. معهد الإمام النووي

تأسس المعهد على يد الشيخ أحمد الحصري عام 1963م في مدينة معرة النعمان بريف إدلب، يتابع عمله إلى الآن في مختلف مناطق مدينة إدلب والشمال السوري، ويتم تدريس مرحلتَي الإعدادية والثانوية على مدار ست سنوات، ويركز المعهد على المواد الشرعية والكونية، وقد حصل المعهد على اعتراف من وزارة التربية والتعليم في الحكومة السورية المؤقتة، يتمكن الطالب بذلك على الدخول لمختلف الجامعات المتواجدة في المنطقة، مما زاد في رغبة الكثيرين من طلبة العلم للدراسة فيه.

يهدف المعهد إلى إعداد كوادر علمية ودعوية تخدم المجتمع السوري، ويشرف على المعهد عدد من علماء مناطق الشمال السوري، ويركز فكر المعهد على المنهج الوسطي الشامل، بعيداً عن التطرف والغلو، بالإضافة إلى تبني الخطاب الديني الوسطي.

للمعهد أفرع عديدة في محافظة إدلب، ومدينة عفرين وريفها، ومدينة اعزاز، ومدينة الباب، ومدينة جرابلس.

ت. معهد مكة المكرمة

هو مؤسسة أكاديمية تعنى ببناء كوادر شرعية مؤهلة علمياً وفكرياً، تأسس المعهد على يد نخبة من علماء سوريا، عام 2015م في تركيا، ثم استحدثت أفرعاً له في مناطق الشمال السوري، ويتيح للطلاب الدراسة فيه بعد الحصول على الشهادة الثانوية، والمعهد يدرّس العلوم الشرعية والتربوية، وحصل على اعتراف من وزارة التربية والتعليم في الحكومة المؤقتة بالشمال السوري، وأصبح بحكم المعهد المتوسط بنظام الدراسة على سنتين.

تميز المعهد بالكوادر العلمية العاملة فيه، بالإضافة لاستقبال الطلبة وفق معيار واختبارات علمية، والذي زاد من مكانته حصوله على الاعتراف الرسمي، مما يتيح للطالب الاستمرار في السنة الثالثة والرابعة في كليات الشريعة التابعة للجامعات المتواجدة في المنطقة.

يُعرّف المعهد عن نفسه: لما تمتعت سورية وأهلها بمنهجٍ علميٍّ وسطيٍّ أصيلٍ، توارثه أجيالٌ من العلماء عن الصحابة الفاتحين، وجاء من يُحاول طمس هذا المنهج وتغييره، فقد استشعرت ثلة من علماء سوريا واجب الحفاظ على معالم ذلك المنهج، وضرورة نشر العلم المنطلق من وسطية الإسلام وشموله؛ فأسست معهد مكة المكرمة للعلوم الشرعية ليكون مؤسسة رائدة في النهوض بواجب البلاغ، وخطوة في طريق البناء الشامل للإنسان والأمة والأوطان.⁷

وللمعهد فروع عديدة في محافظة إدلب، بالإضافة لفروعه في مدينة جنديرس، ومدينة عفرين والباب.

ث. معهد عبد الله بن حذافة السهمي

تأسس المعهد في عام 2020م، ويدرس الطالب فيه المرحلة الإعدادية والثانوية، ثم يحصل بموجبه الطالب على الشهادة الثانوية التي تؤهله للدخول في جامعات المنطقة، يجمع المعهد بين العلوم الشرعية والكونية، ويقوم على المعهد عدد من العلماء المعروفين في المنطقة.

ينشط المعهد في مدينتي عفرين وصوران بريف أعزاز، ويتميز بنظام المبيت الداخلي، وهذا مما تميز به المعهد واستطاع جذب الكثير من الطلبة القاطنين في القرى البعيدة عن المدن، والذي يسهل عليهم مشقة التنقل والمواصلات، بالإضافة لوجود برنامج يومي مكثف بإشراف إدارة المدرسة.

ج. معهد العز بن عبد السلام

تأسس المعهد عام 2017م في مدينة الباب، ويدرس العلوم الشرعية على مستويات مختلفة، وللمعهد أفرع عديدة، منها الثانوية الشرعية للذكور، والمعهد التخصصي للذكور، والمعهد التخصصي للإناث.

وتعدّ مدينة الباب من أكبر مدن الشمال السوري، وتتمتع بكثافة سكانية كبيرة، بالإضافة لعدد كبير من القرى والنواحي التي تتبع لها، وهذا ما شكل حاجة لافتتاح معاهد شرعية تستقطب طلبة العلم، وتأسيسهم على النهج الإسلامي الوسطي الحنيف.

ح. الثانويات الشرعية الرسمية

تعتبر الثانويات الشرعية الرسمية وجهة الشعب السوري المعروف بتوجهه الديني، وميزة هذه الثانويات هو رسميتها باعتبارها مدرسة ثانوية تتبع للسلطة التربوية، وتعتمد الثانويات المنهاج الرسمي للمواد الأدبية والعلمية، بالإضافة للمواد الشرعية التخصصية.

وللثانويات الشرعية عهد سابق غير مرتبط بالوضع السياسي الذي شهدته مناطق الشمال السوري، حيث تواجدت منذ عشرات السنين، ومنها ما تم استحداثه جديداً في المدن الصغيرة، وتعتبر ثانوية أبو عبيدة بن الجراح من أكبر الثانويات الشرعية في الشمال السوري، ومقرها في ناحية تركمان بارح التابعة لمدينة اخترين، بالإضافة للثانويات الشرعية المتواجدة في مدينة الباب واعزاز، والراعي، وعفرين، وجنديرس.

للثانويات الشرعية مكانة عند أهل العلم وعامة الناس في كل مدينة، حيث يبدون اهتماماً بها ويسعون لتوفير احتياجاتها، إضافة إلى أنها سابقة العهد، إذ تعد رمزاً من رموز المدن في مناطق الشمال السوري، وهذا ما يميزها عن المعاهد الشرعية التي افتتحت حديثاً بعد عام 2017م.

⁷ موقع معهد مكة المكرمة للعلوم الشرعية، <https://makkahacademy.org>.

كان الجهد الأكبر في إنشاء المعاهد الشرعية لأهل العلم الوافدين من مختلف المحافظات السورية، حيث نقلوا بعض تجاربهم وخبراتهم، إضافة إلى لمسهم الحاجة إلى افتتاح معاهد شرعية تستوعب الأعداد الكبيرة من الطلاب نتيجة الكثافة السكانية التي تعيشها مناطق الشمال السوري.

ويمكننا القول إن الثانويات الشرعية الرسمية بطاقتها الاستيعابية لا تتحمل إلا السكان الأصليين للمدينة والقرى المحيطة بها، ومع هجرة أبناء الشعب السوري من مختلف المحافظات السورية إلى مناطق الشمال أصبحت الحاجة ضرورية لافتتاح معاهد إضافية تستوعب جميع الطلبة الراغبين بالتعلم الشرعي.

3. الطرق الصوفية

نشطت الطرق الصوفية في سوريا منذ عهود ماضية، ومنها من ربط العمل والنشاط الدعوي بمفهوم الطريقة الصوفية ك الشيخ أحمد كفتارو الذي ترأس مشيخة الطريقة النقشبندية في دمشق، حيث أسس المدارس والمعاهد الشرعية، بالإضافة لتبني مفهوم الطريقة عند طلبته والعمل على نشرها، بخلاف مدرسة زيد التي اكتفت بالطابع العلمي والدعوي في عملها، دون ترسيخ مفهوم الطريقة ونشرها.

ومن أهم الطرق الصوفية المنتشرة في سوريا:

1. الطريقة النقشبندية.
2. الطريقة الشاذلية.
3. الطريقة الرفاعية.
4. الطريقة القادرية.

كانت وما زالت الطرق الصوفية جزءاً لا يتجزأ من البنية الدينية للمجتمع السوري، ويمكننا القول إن الطرق الصوفية يمكن تمييزها عن باقي الحركات الإسلامية بأنها لم تأخذ طابعاً سياسياً في عملها، بالإضافة إلى تركيبها التنظيمي الذي لا يتبع لمركزية تشبه مركزية المؤسسات أو التيارات أو الحركات، ويعود سبب ذلك إلى توسع انتشارها في كل المدن السورية.

ولم يكن للطرق الصوفية أي دور تنظيمي أو مؤسساتي في الأحداث السياسية، بل كان الدور لبعض رجال الطرق الصوفية أو بعض اتباعها في مختلف المسارات السياسية والعسكرية خلال الأعوام الماضية، فلا يمكن اعتبار الطرق الصوفية ك حركة الإخوان المسلمون التي تبنت الانتفاضة الشعبية وشاركت في مختلف الأحداث السياسية، كما لا يمكن اعتبارها طرفاً وقف في وجه الانتفاضة الشعبية وساند النظام، بل يمكننا القول إن الطرق الصوفية لم يكن لها سلطة مركزية تتبنى من خلالها موقفاً رسمياً تجاه الأحداث الجارية في البلاد، بل كان لكل منتسب وعالم في الطرق القرار المستقل في اتخاذ موقف تجاه ما يحصل في البلاد.

إن الهجوم المستمر على الطرق الصوفية إبان الأحداث في سوريا نتج عن جهل الكثير بمفهوم الطرق الصوفية، يتصورها البعض منظمة أو حزباً أو مؤسسة تجمع كل منتسب لها في كل سوريا، بينما يحصر البعض مفهوم الطرق الصوفية بموقف سياسي اتخذه عالم أو أحد منتسبي الطرق.

والناظر إلى وجود الطرق الصوفية اليوم في مناطق الشمال السوري يدرك أنه لا يمكن قبول الطرق على شكل حزب أو تنظيم، بل إن الطرق الصوفية هي جماعات صغيرة تتوزع في كل مدينة وقرية، شهدت كل الأحداث التي مرت بتلك المناطق، وبقيت كما هي، رغم تعرضها للمحاربة من قبل التنظيمات التي سيطرت على المناطق لفترات وجيزة.

كان ارتكاز مدارس الطرق الصوفية في المدن الكبيرة من سوريا، بينما تتوزع على شكل مجموعات صغيرة في مناطق الشمال السوري، وما زالت تحظى بوجود كبير بعد خلو المناطق من الفكر الذي عمل على محاربة عقيدة الشعب السوري، حيث يتنوع انتشار الطرق في تلك المناطق كمجموعات تتبع لكبار الطرق الصوفية التي يتنوع تمركزها سواء في سوريا أو في مختلف البلاد العربية.

وتعد الشاذلية هي أكثر الطرق انتشاراً في مدينة الباب، بينما النقشبندية هي الأكثر في مدينة عفرين ويليها الطريقة الرفاعية، إلا أن الكثافة والتنوع السكاني الذي شهدته مناطق الشمال السوري شكل تنوعاً كبيراً في انتشار مختلف الطرق الصوفية في كل المناطق، فتجد منتسبي الطريقة الشاذلية من الفئة الوافدة إلى مدينة عفرين، بالإضافة لمنتسبي الطريقة النقشبندية والرفاعية الذين يتمثلون بالسكان الأصليين لتلك المدينة.

4. الدعوة والتبليغ

جماعة التبليغ والدعوة أو جماعة الأحباب هي جماعة إسلامية عالمية أسسها محمد إلياس الكاندهلوي في الهند البريطانية عام 1926م وتنتشر الآن في معظم البلاد العربية والإسلامية، تقوم الجماعة بأمرين أساسيين الأول هو تبليغ من لم تبلغه الدعوة الإسلامية، والثاني وعظ المسلمين وتذكيرهم بأمر دينهم.

ومن المهام التي تضطلع بها: تنظيم رحلات لأتباعها ينتقلون خلالها من قرية إلى أخرى ومن مسجد إلى آخر لنشر تعاليم الإسلام بين إخوانهم في العقيدة، واستقطاب مزيد من المؤيدين. ودرجت الجماعة على إيفاد نشطاء منها إلى أكثر من متني دولة عربية وإسلامية وغير إسلامية.

وقد نشط عمل هذه الجماعة في سوريا، ومن أهم ما يميز دعوتهم هو تجولهم في القرى والمدن النائية، والجمع بين الجامع وميادين المجتمع المختلفة لتكون منبراً للدعوة، فلا يكتفون بالعمل المسجدي، بل يخرجون للأسواق وأماكن العزاء والأفراح لواجب الدعوة وتذكير الناس بدينهم.

وحال جماعة الدعوة والتبليغ لا يختلف كثيراً عن حال الطرق الصوفية، ينتشرون في سوريا على شكل مجموعات صغيرة على نطاق المحافظة أو المدينة أو الناحية، وكانت مناطق الشمال السوري محط رحال رجال الدعوة والتبليغ سابقاً وما زالت، فمنهم من استمر بنهج الجماعة بمفرده، ومنهم من استمر بالعمل مع مجموعته.

وتنشط جماعة الدعوة والتبليغ اليوم في مناطق الشمال السوري، وكسابق عهدهم ينظمون حملاتهم التي يطلقون عليها "الخروج"، تستمر أربعين يوماً، نشاهد أكبر تجمع لهم اليوم في مدينة جرابلس، يرأسهم الشيخ عزام النعيمي، ينظمون رحلة سنوية تستمر أربعين يوماً، ينطلقون من مدينة جرابلس وإلى أرياف مدينة عفرين، ويقطعون مسافة تزيد عن 200 كم، يحطون رحالهم في كل قرية وناحية.

اعتاد المجتمع السوري عموماً ومناطق الشمال السوري رؤية جماعة الدعوة والتبليغ، يتجولون في القرى والمدن وأسواقها، بالإضافة للنشاط في المساجد أثناء إقامتهم، كما أنهم يجددون دعوة الناس إلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويدخلون الأسواق والمحلات التجارية، يعرفون عن أنفسهم، ويخطبون في الناس بما يجدونه مناسباً ولزماً.

5. الحركات السلفية

السلفية الشامية هي من إحدى الحركات السلفية التي أسس لها محمد رشيد رضا وجمال القاسمي وبهجة البيطار وأحمد مظهر العظمة، وغيرهم، وبزغ نجمها في المشهد السوري عبر جمعيتين حيويتين هما التمدن والغراء، كانت تمتاز بطابع عقلاني توافقي انفتاحي، إذ انفتحت على الحضارة الغربية وعلى الحياة العامة والسياسية وفتات المجتمع المختلفة، متأثرة بصورة جلية بالمدرسة الإصلاحية، التي يمثل رشيد رضا أحد أقطابها عربياً وإسلامياً.⁸

أما السلفية الحركية، التي تؤمن بالعمل السياسي العام، وطورت موقفاً من الديمقراطية نحو القبول بها كآليات ومؤسسات، مع تحفظها على القيم الديمقراطية الليبرالية الغربية، ويمثل الشيخ محمد سرور زين العابدين أحد أبرز شيوخ هذه الصيغة السلفية على الصعيد العالمي، ويقر بأنه بالفعل يسعى إلى أن تتطور الحالة السلفية في سورية إلى نموذج السلفية الإصلاحية المعروف.⁹

⁸ محمد أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة في سوريا، (الأردن: مؤسسة فريديش ايبيرت، 2013م) 31.
⁹ أبو رمان، الإسلاميون والدين والثورة في سوريا، 31.

وتبنت تلك الجمعيات الفكر الإصلاحية في ستينيات القرن الماضي، وعملت على المشاركة في الانتخابات السياسية بهدف الإصلاح والمشاركة في إعداد دستور البلاد، حيث أعلنت الجمعية تأييدها لمنتخب مجلس الشعب شكري القوتلي عام 1943م.

ومع تولي حزب البعث الحكم في البلاد عام 1963م يمكننا القول إن المدرسة السلفية الإصلاحية حولت مسارها من الإصلاح إلى الاهتمام العلمي، حيث تم إغلاق تلك الجمعيات بعد أحداث الإخوان المسلمين في سوريا عام 1983م.

لم تتوقف السلفية السورية عن التغيير منذ بروزها في نهاية القرن التاسع عشر، فقد كانت الحركة السلفية السورية شبيهة إلى حد كبير بالسلفية الإصلاحية التي نشأت في مصر على يد الشيخ محمد عبده، وتفرعت عن السلفية الإصلاحية الشامية عدة جمعيات، سرعان ما لعبت دوراً مهماً في الحياة السياسية، أهمها "الجمعية الغراء" 1924م التي أسسها الشيخ عبد الغني الدقر التي حاولت التأقلم مع التغييرات الاجتماعية التي أحدثتها اقتحام الحياة الغربية الحديثة.¹⁰

ومع تولي حزب البعث السلطة في البلاد، بدأت السلفية الإصلاحية بالتفكك، وتحولت جمعياتها إلى مجرد جمعيات خيرية وأصبحت مجلاتها مجلات ثقافية، وهنا يمكننا القول إن المسار الإصلاحية للحركة السلفية تحول إلى مسار علمي بعيداً عن الأحداث السياسية والصراعات.

ومع بداية الأحداث السورية عام 2011م، بدأت أفراد الحركات السلفية بالمشاركة بالانتفاضة الشعبية، إلى أن تطور الحال بالانتقال إلى حركات سلفية جهادية، شاركت بالمعارك المسلحة في ذلك الوقت، ومع تحول المسار الثوري في البلاد إلى مسار عسكري، ظهرت عدة تشكيلات في الساحة السورية التي تحمل اسماً سلفياً.

ومع تزايد التواصل الدولي والدعم المالي الكبير للحركات السلفية كان له الدور الأكبر في قوة حركة وضعف أخرى، حتى في قوة حركة ضد حركة أخرى، فكل حركة تسعى لأن تكون الممثل الوحيد للجهاد الإسلامي في الساحة السورية.

من أبرز الحركات السلفية المعاصرة في الشمال السوري:

أ. جبهة النصرة

تعد جبهة النصرة التيار السلفي الجهادي الأول ظهوراً في الساحة السورية، وتأسست جبهة النصرة في سوريا بقيادة أبو محمد الجولاني، وذلك بعد عبوره مع مجموعة مقربة من تنظيم القاعدة في العراق إلى سوريا، فقد كسب توجه الكثيرين من حملة الفكر الجهادي، وباعتباره فرع عن تنظيم القاعدة، كان له الخبرة الأكبر في إعداد التيار وتنظيمه وكسب الجهاديين المحليين والدوليين لصفوفه، وبعد أعوام قليلة أعلن انفصاله عن تنظيم القاعدة.

ووصل الحال بجبهة النصرة إلى تغيير مسمياتها عدة مرات، ليصبح آخر اسم لها "هيئة تحرير الشام"، ثم قامت بتشكيل حكومة محلية في معقل سيطرتها بمحافظة إدلب وبعض أريافها وفي جزء من أرياف حلب الغربي، وهنا نشير إلى هدفها في الوجود السياسي عبر تشكيل حكومة محلية بالإضافة إلى وجودها العسكري.

ب. جيش الإسلام

هو التيار الجهادي السلفي العسكري الذي أخذ موقفاً من انضمام النصرة للقاعدة، والذي تشكل في بيئة كانت تحمل الفكر السلفي بالإضافة للاهتمام بالفقه الحنبلي وهي مدينة دوما، وأسسها زهران علوش خريج الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة، وقد لقي التيار أنصاره ومنتسبيه، حيث كان البيئة الأقرب للحياة السورية الشامية التي تحتضن الفكر الجهادي، والذي لم ينتم إلى تنظيم القاعدة، ونشط التيار في مناطق ريف دمشق، ثم انتقل إلى مناطق الشمال السوري عام 2018م، ولم يعد بالقوة العسكرية التي كان يتمتع بها في مناطق نشوئه، لكنه حافظ على هيكلية التنظيمية والعسكرية.

ت. حركة أحرار الشام

¹⁰ عبد الرحمن الحاج، السلفية والسلفيون في سورية: من الإصلاح إلى الجهاد، 2013.

ونشأت حركة أحرار الشام الإسلامية أواخر عام 2011م، بعد اندماج أربعة فصائل، هي: جماعة الطليعة الإسلامية، حركة الفجر الإسلامية، كتائب الإيمان المقاتلة إضافة إلى أحرار الشام¹¹، وظلّت الحركة على مدار عامين من أهم فصائل المعارضة التي واجهت قوات النظام السوري في الكثير من المواقع، ولم تظهر الحركة بداية أمرها على أنها حركة سلفية جهادية، بل تشكلت من عدة مجموعات عسكرية محلية.

وكان حرص الحركة هو إنشاء تيار إسلامي وتبنيه بحيث يكون خاصاً بسوريا، بعيداً عن فكر القاعدة وأيديولوجيتها ومغايراً لها ومختلفاً عن فكر جماعة الإخوان المسلمين وكان هذا الحرص هو البوصلة الموجهة لفكر قادة الأحرار وعملهم.¹²

كما لعبت حركة أحرار الشام دوراً مهماً في بداية الأحداث السورية، حيث وفقت بين الفكر الثوري الذي يحمله عدد كبير من المجموعات العسكرية التي وفقت في وجه النظام الحاكم، وبين الفكر الجهادي الوسطي الذي وجده الكثير من أبناء الشعب السوري وجهة إسلامية تحمل فكراً سياسياً إسلامياً في تأسيس دولة واقعية تحقق العدل والسلام للشعب السوري.

ويسود الحركة اليوم انقسام كبير بعد مرور الحركة بأحداث كبيرة تمثلت بمقتل أغلب قياداتها، ودخولها في صراع على النفوذ مع جبهة النصرة، فقد استطاعت جبهة النصرة إضعاف الحركة بشكل ملحوظ، مما دفع قسم من أبناء الحركة وقياداتها إلى الالتحاق بركب هيئة تحرير الشام (النصرة سابقاً)، بينما يرى القسم الآخر هيئة تحرير الشام هي فئة باغية على مشروع أحرار الشام السياسي والإسلامي، ويصر على البقاء في مسيرة الحركة التي تأسست عليها.

ث. حزب التحرير

تأسس حزب التحرير عام 1953 في مدينة القدس على يد الشيخ تقي الدين النبهاني، وقد تأثر النبهاني بحال العالم الإسلامي بعد نهاية الخلافة العثمانية، ودعا النبهاني إلى إعلان الخلافة الإسلامية، ثم نشط الحزب في عدة دول عربية، ولم يُعرف للحزب في نهايات القرن الماضي أي نشاط سياسي واضح في سوريا، ولم يُذكر أنه شارك في أحداث الثمانينيات، وبعد أحداث 2011م بدأ الحزب نشاطه في المناطق التي خضعت لسيطرة المعارضة السورية، عبر تأسيس عدد من المكاتب الدعوية والإعلامية التي اهتمت بتوزيع نشراته وكتبه وجريدته الأسبوعية "الرأية".¹³

لم يقدم أي جهد غير "الجهد الإعلامي" المنحصر في أعمال "التتقيف" على المنابر الدينية أو في المحاضرات وجلسات الحوار وندواتها، مما يشير بوضوح إلى طبيعة نشاط الحزب في سوريا. فكما غاب عنه الجانب العسكري غابت النشاطات الإغاثية، أو الإسعافية، أو الطبية، أو الخدمية، أو الإدارية، أو الخيرية، أو سواها من الجوانب التي انشغلت بها الكثير من الحركات والمنظمات. وكان أبرز نشاطات الحزب هو دعوة الفصائل إلى تبني أفكاره، وهو مما لم يحدث بشكل جاد، خاصة أن الحزب لا يملك من الموارد المالية ما يكفي للدعم من نواحي التسليح أو الذخيرة أو الرواتب، وهو ما تحتاجه هذه الفصائل بالفعل لا النشرات والكتيبات والحوارات.¹⁴

ونخلص إلى أن الحزب محصور في البقعة الجغرافية الخارجة عن سيطرة النظام يتوسع بتوسعها وينحسر بانحسارها، ولا يعرف أعضاؤه بعضهم، بعيد عن آراء الشارع وتوجهاته، ولعل الشارع ذاته لا يكاد يعرف من توجهات الحزب وأفكاره سوى أنه يطالب بالخلافة، ويرى بوقوعها عز الأمة ونصرها مما شكل قناعة عامة بأنه الحزب "صاحب مشروع" إلا أنه يتعامل مع الأفكار بمثابة أقلية، إضافة إلى يقين عامة الناس والباحثين بأن رؤيته الصلبة ودائرته "الحتمية" لن تتحقق في ظل معطيات الواقع المعاصر.¹⁵

¹¹ أمين العاصي، أحرار الشام "خلافات تفقدنا الحضور وتصب لصالح" هيئة تحرير الشام، 2020

¹² أحرار الشام النشأة والنهائية، مركز أبحاث مينا، 2019

¹³ عرابي عبد الحي عرابي، حزب التحرير في سوريا تجربة التاريخ والحاضر، (مركز جسور للدراسات، 2018).

¹⁴ عرابي، حزب التحرير في سوريا تجربة التاريخ والحاضر.

¹⁵ عرابي، حزب التحرير في سوريا تجربة التاريخ والحاضر.

وقد قامت هيئة تحرير الشام بحملة لإنهاء تواجد المنتسبين إلى الحزب في مناطق نفوذها، واتهمت الحزب بتخوين مكونات الثورة ومؤسساتها بمنهجية يسعون من خلالها لشيطننة المناطق المحررة، وتشويه صورتها وبث الفوضى وزعزعة الثقة بين مكوناتها المجتمعية، كما أن الحملة طالت الأشخاص الذين يستمرون في استهداف المجاهدين المرابطين على الثغور.¹⁶

أما في مناطق الشمال السوري الخارج عن سيطرة هيئة تحرير الشام، فيستمر حزب التحرير بالنشاط الإعلامي فقط، كما يحاول تنظيم عدة وقفات احتجاجية أو لقاءات دعوية إعلامية، إلا أن السلطات العسكرية في المناطق تمنعه من أي نشاط له على الأرض، ويمكن اعتبار مدينة صوران وبعض قرأها هي معقل رجال حزب التحرير في مناطق الشمال السوري، كما يفتقر الحزب للمنتسبين إليه في أرض الواقع، وكان للسلطات الدينية والعسكرية دور في توعية المجتمع من الحزب وفكره.

ثانياً: الوسطية والتطرف لدى الحركات الإسلامية المعاصرة في الشمال السوري

بعد سيطرة تركيا على مناطق الشمال السوري، بدأت المؤسسات المحلية والمدنية والإنسانية بالعمل في مختلف المجالات، وعلى الصعيد الديني أشرفت رئاسة الشؤون الدينية التركية على تأسيس مديريات للأوقاف والشؤون الدينية في جميع مدن الشمال السوري، ويعد ذلك إعادة ترتيب العمل الدعوي والديني في المناطق، بالإضافة لإدارة المساجد والمعاهد الشرعية، وإعادة تنشيط المسار الديني من قبل العلماء والدعاة بعيداً عن السلطات العسكرية أو الفصائلية التي كانت تدير المساجد والعمل الديني في مناطق نفوذها.

ومنذ الأحداث التي شهدتها سوريا عام 2011، كان هناك مراحل قوة وضعف سادت معظم الحركات الإسلامية، إلا أن الواقع الذي يشهده الشمال السوري يختلف تماماً عن الأعوام السابقة، وذلك لأن المناطق التي خرجت عن سيطرة النظام شهدت ضعفاً للعمل المؤسساتي والمدني، ما دفع المجموعات العسكرية إلى إدارة شؤون المناطق على مختلف الأصعدة.

أما واقع الشمال السوري اليوم فيشهد دوراً بارزاً للمؤسسات المحلية والمدنية التي ترعى شؤون الناس، ولعل الشؤون الدينية هي من أهم الأمور التي تحتاج إلى إدارة وتوجيه من قبل العلماء والكوادر العلمية والدعوية التي تنهج الفكر الإسلامي الوسطي البعيد عن الغلو والتطرف.

ويبرز اليوم التيار الوسطي الذي يجمع مكونات الشعب السوري دون تعصب، أو تطرف، أو تحيز لحركة، أو مجموعة، ويظهر الدور الأكبر للعلماء والدعاة في إدارة الشؤون الدينية، وهذا الأمر يلعب دوراً كبيراً في إعادة توجيه وتجديد الخطاب الديني في المجتمع السوري، بالإضافة لصد هجمات التيارات المتطرفة.

ومن أهم عوامل انتشار التيار الإسلامي الوسطي التي يراها الباحث في الشمال السوري:

1. تفعيل دور المؤسسات التي تدير الشؤون الدينية

منذ خروج المناطق عن سيطرة النظام إلى حين سيطرة تركيا على مناطق الشمال السوري لم يكن هناك مؤسسة خاصة بإدارة الشؤون الدينية في كل مدينة، وإنما كان علماء المدينة -وبالتنسيق مع القوة العسكرية المسيطرة على المدينة- يقومون بتنسيق شؤون المساجد وتعيين الأئمة والخطباء، بالإضافة إلى مختلف النشاطات الدعوية والعلمية، وهذا النمط كان سائداً في أغلب مناطق الريف الشمالي، أما بعد سيطرة تركيا على المناطق، فقد تم استحداث مديريات الشؤون الدينية في كل مدينة، وتفعيل دور الإفتاء، بالإضافة لفروع المديرية التي تشرف على شؤون المساجد وحلقات التعليم المسجدي والمعاهد الشرعية وبناء المساجد، ومن أكبر التحديات التي واجهت مديريات الشؤون الدينية في كل مدينة هو تدخل القوة العسكرية المتواجدة في المدينة بتعيين أئمة لبعض المصليات والمساجد التي تم افتتاحها مؤخراً عن طريق تلك المجموعات العسكرية، فكان هدف مديريات الشؤون الدينية هو جمع المساجد والمصليات تحت سقف موحد لتسهيل إدارتها ومتابعة شؤونها، بالإضافة لوضع خطة يتم من خلالها تعيين

¹⁶ منهل باريش، حزب التحرير: التوترات مع «تحرير الشام» سببها مطالبتنا فتح جبهات الساحل مع النظام السوري، (مركز القدس العربي للدراسات، 2022)

الأئمة والخطباء ومدرسي المعاهد الشرعية، مع حرص المديرية على سلامة منهج وفكر الأئمة والخطباء من التطرف والغلو، لكن هذا الأمر لم تقبل به بعض المجموعات العسكرية في بعض المناطق، حيث ما زالت بعض المساجد والمصليات خارجة عن إدارة الشؤون الدينية، ومن أعجب نتائج هذه المشكلة هو مخالفة المساجد والمصليات مواعيد أذان الفجر والمغرب في أيام شهر رمضان، وذلك بسبب سوء فهمهم لبعض المسائل الفقهية المختلف فيها بين الفقهاء عن أحكام الإمساك والإفطار في أيام شهر رمضان.

لذا كان لمديرية الشؤون الدينية في المدينة دور مهم في تنظيم شؤون العمل الديني، بالإضافة لتفعيل دور العلماء والفقهاء من خلال مجلس الإفتاء، وتوجيه ومتابعة الأئمة والخطباء والعاملين في المجال الدعوي مع العمل على تطوير مستواهم العلمي والفكري.

2. افتتاح المعاهد والمدارس الشرعية

ولعل من أهم نتائج تفعيل دور المؤسسات التربوية والدينية في مناطق الشمال السوري هو إعادة افتتاح الثانويات الشرعية التي كانت موجودة سابقاً، واستحداث ثانويات أخرى في المناطق التي تفتقر للتعليم الشرعي، وكان للثانويات الشرعية أثر كبير في إعادة توجيه وتجديد الخطاب الديني للفئة الناشئة من طلبة المدارس، خصوصاً بعد انقطاع التعليم الشرعي لمدة طويلة، وكانت تلك الثانويات الوجهة الأكثر رغبة لدى الطلبة وأهاليهم، حيث تجمع بين تعليم المواد العلمية والكونية، بالإضافة للمواد الشرعية التي تُعطى من قبل أهل العلم والمتخصصين، وما يميز هذه الثانويات أنها تتنوع أيضاً لمديرية التربية والتعليم في المدينة، وما يؤهل الطالب فيها إلى الدخول لامتحان الشهادة الثانوية واستكمال دراسته في الجامعات.

إضافة للثانويات الشرعية، ونظراً للكثافة السكانية التي تحظى بها المناطق، تم افتتاح العديد من المعاهد الشرعية، التي اختصت بتدريس العلوم الشرعية دون المناهج المدرسية، ومنها ما جمع بين المناهج الدراسية والمواد الشرعية، وجمعت تلك المعاهد العلماء وأهل الدعوة في كل مدينة، وكثفت من نشاطها الدعوي والعلمي الذي يعد عوناً لمديرية الشؤون الدينية.

3. كليات الشريعة في مؤسسات التعليم العالي

يبقى نطاق العمل الجامعي الأكبر والأهم في عملية بناء المجتمعات، إذ تأسست العديد من الجامعات في مختلف مناطق الشمال السوري، وأنشئت كليات العلوم الشرعية في تلك الجامعات، واستقطبت الجامعات الفئة الشبابية المؤهلة للدراسة الجامعية، كما حظيت كليات الشريعة بكوادر علمية وأكاديمية متميزة، مع حرصها على الوسطية في تدريس العلوم الشرعية، وإعداد رجال الدعوة بكفاءة عالية تمتاز بفكر إسلامي وسطي علمي، يقدر على توعية المجتمع وتحذير الناس من الهجمات الفكرية التي يتعرضون لها.

4. انفراد السلطة الدينية عن السلطة العسكرية

ومن أهم التحديات التي كانت تواجه المؤسسات الدينية هي السلطة العسكرية والأمنية التي تشرف على المؤسسة وتتدخل في شؤونها، كما تحدد التوجه الذي ينبغي على المؤسسة السير عليه، ولقد عانت المؤسسات الدينية سابقاً من تبني بعض المجموعات العسكرية توجهاً ومنهجاً يحمل فكراً متطرفاً، وتضيق على الناس حياتهم، لذا كان دور العلماء مهمشاً في إدارة المؤسسات الدينية.

ولكن بعد تفرد المؤسسات الدينية في قرارها، وتفعيل دور العلماء، والتخلص من السلطة العسكرية المفروضة على عمل المؤسسات، وجدت المؤسسات الدينية تطوراً ملحوظاً في إدارتها للعمل الديني والدعوي، عبر انتقاء الكوادر المؤهلة علمياً ودعواً، وتعيين الأئمة والخطباء منهم، والسير على النهج الإسلامي الوسطي المعروف والسائد في المجتمع السوري.

5. المجلس الإسلامي السوري

تشكل المجلس الإسلامي السوري من أربعين رابطة وهيئة شرعية سورية في منتصف نيسان عام 2014م، الذي ضم العلماء والهيئات الشرعية والروابط العلمية السورية، ليكون قراراً مشتركاً يعبر عن إرادة موحدة لرموز المدارس الفكرية الإسلامية المعتدلة في سوريا، ويصف المجلس نفسه بأنه هيئة مرجعية شرعية ووسطية سورية، تسعى إلى جمع كلمة العلماء والدعاة وممثلي الكيانات الشرعية، وتوجيه الشعب السوري، وإيجاد الحلول الشرعية لمشكلاته وقضاياها، والحفاظ على هويته ومسار ثورته، كما

يهدف إلى ترسيخ المشروع الإسلامي وتفعيل دور المؤسسة الدينية في المجتمع السوري، وتمكين المرجعية الإسلامية للشعب السوري من الاضطلاع بدورها الريادي في المجتمع.¹⁷

وينشط عمل المجلس اليوم في مختلف مناطق الشمال السوري، من خلال أعضائه وممثليه من مختلف المدن والمحافظات السورية، ولم يقتصر المجلس على جمع شخصيات من مدن سورية محددة، بل جمع كبار علماء وشخصيات جميع المدن السورية، وهذا ما يزيد من شعبيته في الساحة السورية، كما أنه لا يميز بين رؤية وفكر أعضائه ومثليه، بل سعى بكل جهد لوحدة العلماء وجمعهم في طاولة واحدة.

وقد برز دور المجلس الإسلامي السوري في تبنيه للنهج والفكر الإسلامي الوسطي، وجمع العلماء على كلمة واحدة في القضايا الأساسية التي تخص المجتمع السوري، ولم يهدف المجلس إلى تبني تيار دون آخر، بل حرص على جمع العلماء الممثلين عن المحافظات السورية والهيئات والروابط والمؤسسات الدينية كافة.

يمكن اعتبار المجلس الإسلامي السوري مجلس شورى لعلماء سوريا المتواجدين في مناطق الشمال السوري وفي الخارج، إذ يهتم بقضايا المنطقة ويعمل على توجيه الشارع السوري نحو المسار الصحيح في العمل الديني والسياسي، كما يسعى المجلس لاستقبال مدراء المؤسسات الدينية العاملة في مناطق الشمال السوري ورجال الإفتاء، ما ساهم في ترسيخ أهداف المجلس ونهجه في صلب عمل المؤسسات الدينية.

وفي المقابل، فإن سيطرة تركيا على مناطق الشمال السوري، والتغير في الموقف الدولي تجاه بعض المجموعات العسكرية، كان له أثر واضح في توقف وضعف المشروع الفكري لبعض المجموعات العسكرية التي كانت تعمل على تنفيذه، حيث كانت تعتمد تلك المجموعات على الدعم المادي المقدم من بعض الدول، مقابل تبنيها للفكر والنهج الذي تشتترطه عليهم.

ومن أهم عوامل ضعف الحركات الإسلامية المتطرفة التي يراها الباحث:

1. تحرر مناطق الشمال السوري من الغلو الفكري المتطرف

كان هدف تركيا من العمليات العسكرية في الشمال السوري هو القضاء على التنظيمات الإرهابية التي كانت تشكل خطراً سياسياً وعقائدياً، بالإضافة للخطر الفكري الذي تشكله تلك التنظيمات على مناطق الشمال السوري، ولقد حققت هدفها بتحريض الكثير من مناطق الشريط الحدودي للشمال السوري من التنظيمات الإرهابية.

2. توقف الدعم الدولي عن دعم بعض المجموعات العسكرية

لم يكن الشعب السوري متطرفاً في عقيدته وفكره الإسلامي، لكن الأحداث السياسية ساهمت في ظهور بعض الحركات الإسلامية المتطرفة، ولا شك في أن تلك الحركات كانت من صنع دول تنتهج الفكر نفسه، وهنا يمكننا القول إن الهدف الأساس من صنع تلك الحركات هو نشر الفكر لا المساهمة والمشاركة في قضية الشعب السوري، ولو كان الهدف من تلك الحركات هو عدم نشر فكر معين لما توقفت عن نشره بعد انقطاع التواصل والدعم المالي من الدول المانحة، بل إن الدور الأساس هو محاربة الفكر الإسلامي الوسطي الذي يحمله الشعب السوري، وتلويته بفكر متطرف يبرر للأعداء محاربة الشعب والبلاد.

3. الهيكلة التنظيمية لعمل المؤسسات في الشمال السوري

بجهود الدولة التركية، تم إنشاء المؤسسات المحلية الخدمية، التي تتمتع بنطاق عمل واضح محدد، وهذا ما أسهم في تفرد كل مؤسسة في عملها وقراراتها، والمؤسسة الدينية من أوائل المؤسسات التي انفصلت في عملها عن السلطة العسكرية والأمنية في المناطق، وأصبحت مستقلة في تنظيم أمورها والإشراف على العمل الدعوي والديني، والشؤون الدينية هي من أولى اهتمامات الشعب السوري، حيث ما زال العالم والمسجد يحظى بمكانة مجتمعية.

¹⁷ موقع المجلس الإسلامي السوري، <https://sy-sic.com/>.

خاتمة

كانت وما زالت الحركات الإسلامية في سوريا جزء لا يتجزأ من المجتمع السوري، وعلى مر العصور كان لبعض الحركات مراحل ضعف وقوة ترتبط بحسب الوضع السياسي والأمني بالبلاد، إلا أن بعض الحركات الإسلامية السورية تبقى صاحبة نفوذ شعبي يختلف ظهوره من زمن لآخر، لكن الجذور العميقة للحركة تبقى في فكر منتسبيها.

ونخلص في هذه الدراسة إلى أن الحركات الإسلامية في سوريا تعرضت لمواجهات فكرية وسياسية على مر العصور، وخصوصاً في الأعوام العشرة الماضية، وغاب دور بعضها في أحداث معينة، إلا أن التيار الإسلامي الوسيط يبقى هو الحاكم والمؤثر في الوسط السوري، في حال كانت الحياة الدينية مستقلة عن التدخلات السياسية والعسكرية.

ويمكننا القول إن التيار الإسلامي الوسيط في الشمال السوري يزداد قوة يوماً بعد يوم، وذلك بجهد رجال العلم والمؤسسات الدينية والدعوية، كما أن الحركات المتطرفة تضعف أمام قوة وصلابة التيار الوسيط الذي نشأ عليه الشعب السوري قديماً، والذي يستعيد اليوم مع القوة التي يتمتع بها، والواقع خير شاهد على أن المال والمرجع الوحيد للشعب السوري هو التيار الإسلامي الوسيط مهما عصفت الحركات المتطرفة بالبلاد، لأن تلك الحركات لم تولد في بنية المجتمع السوري، بل كانت فكراً دخيلاً على حياته وعقيدته وفكره.

ويقع على عاتق العلماء والمؤسسات العلمية والدينية والدعوية اليوم، مهمة الحفاظ على الفكر الإسلامي السوري من عواصف الحركات المتطرفة، وذلك بتمكين رجال الدعوة في ميادين الحياة العلمية والعملية، وتأهيل الكوادر العاملة في المجال الدعوي، مع الحذر من المشاريع الفكرية التي تحمل التطرف والغلو، والتي تظهر بمظهر حسن وبصور عديدة لخداع المجتمع ومؤسساته، كما يجب إعداد المناهج الشرعية والعلمية والتربوية التي تدرس في المدارس والمعاهد والجامعات، وفق رؤية وتوصيات رجال العلم والعلماء، والحفاظ على المؤسسات العلمية من اختراق الأفكار المتطرفة.

لقد عاش الشمال السوري تجارب عديدة مع الحركات الإسلامية، ويعيد اليوم استرجاع قوته وفكره من خلال سيادة التيار الوسيط الذي نشأ عليه الشمال السوري، ويبقى الحال في خطر أمام وجود المجموعات العسكرية التي تبنت الفكر المتطرف لسنين عديدة، لذا وجب على العلماء إعادة النظر في المرحلة السابقة لتحديد الأسباب التي أضعفت التيار الوسيط، ووضع خطة لتوجيه المؤسسات الدينية والعلمية إلى التمسك بالوسطية، والاهتمام بمنابر الدعوة في جميع المناطق عبر إعداد الكوادر العلمية والشرعية.

المراجع

- أبو رمان، محمد. الإسلاميون والدين والثورة في سوريا. الأردن: مؤسسة فريدريش إيبيرت، 2013 م.
- الحاج، عبد الرحمن. السلفية والسلفيون في سورية: من الإصلاح إلى الجهاد. 2013.
- العاصي، أمين. أحرار الشام "خلافات تفقدها الحضور وتصب لصالح" هيئة تحرير الشام". 2020
- باريش، منهل. حزب التحرير: التوترات مع «تحرير الشام» سببها مطالبتنا فتح جبهات الساحل مع النظام السوري، مركز القدس العربي للدراسات، 2022.
- حسن، آلان. بيان الإخوان المسلمين حول فكرة المنطقة الآمنة في الشمال السوري. 2019.
- رايسنر، يوهانس. الحركات الإسلامية في سوريا، ترجمة محمد إبراهيم الأتاسي. بيروت: رياض الريس للكتاب والنشر، 2005 م.
- زيدان، رغداء. الجمعيات الإسلامية ودورها الاجتماعي والسياسي من بداية القرن العشرين وحتى ثورة 2011، 2022.
- عرايبي، عرايبي عبد الحي. حزب التحرير في سوريا تجربة التاريخ والحاضر، مركز جسور للدراسات، 2018.

مركز أبحاث مينا. أحرار الشام النشأة والنهائة، 2019

موقع المجلس الإسلامي السوري. <https://sy-sic.com>

موقع معهد مكة المكرمة للعلوم الشرعية. [./https://makkahacademy.org](https://makkahacademy.org)